

الفصل الأول

من الغارية إلى عالم أوسع

يغطي هذا الفصل الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ ويقع في اربعة اجزاء : أولها : في وداع الغارية . وثانيها : من الغارية إلى الريان . وثالثها : من المدرسة إلى العمل في شركة نفط قطر في دخان . ورابعها : من دخان إلى مسيعد

في وداع الغارية

في أواخر عام ١٩٥٣ ودعت الغارية إلى عالم أوسع . ففي نهاية هذا العام هاجر والدي من الغارية إلى الريان ثم الدوحة حيث التحقت بالمدرسة ومن ثم العمل في شركة نفط قطر. وقد كان ذلك عاما فاصلا في مسيرة حياتي ، كما كان عاما فاصلا في حياة قطر بشكل عام . ففي هذا العام بدأ تأثير عائدات النفط على حياة القطريين يظهر بدرجات متفاوتة وفروق واضحة ، بعد ارتفاع صادرات قطر من النفط و سريان مفعول اتفاقية مناصفة الأرباح بين الحكومة وشركة نفط قطر وما صاحبهما من سياسات تم بموجبها تخصيص عائدات النفط بشكل غير عادل.

ويحسن بي أن أصف الغارية قبل مغادرتها . فالغارية إحدى القرى التي يسكنها (البوكورة) وأكبرها عام ١٩٥٣ ، تقع على ساحل البحر شمال شرق شبه جزيرة قطر ، على بعد حوالي ٩٠ كيلو متر شمال مدينة الدوحة . و إلى جنوبها الفويريط ، القرية الساحلية الشقيقة وكذلك المرونة التي هاجر أهلها أو نزحوا منها منذ عام ١٩٣٠ وكان يسكنها آل دلهم والزامل والعيسى من البوكورة. و في الداخل توجد قرى عذبة والخريجة وعين سنان والجذيع والخيسة وكلها قرى داخلية تبعد عن ساحل البحر من ٢-٤ كيلومتر مربع . وتشكل مجموعة هذه القرى بالإضافة إلى منازل برية تبعد عن البحر من ٣-١٠ كيلو متر ، ديرة البوكورة و تقدر مساحتها بحوالي ٣٠٠ كيلو متر مربع . و بالإضافة إلى هذه المنطقة يسكن البوكورة قرية سميمسه وكذلك مدينة الدوحة بالنسبة لعائلات منهم لم تغادرها أواخر القرن التاسع عشر. هذا فضلا عن عدد من النازحين منهم طلبا للرزق ، يسكنون المحرق والرفاع الشرقي في البحرين والمنطقة الشرقية في المملكة العربية.

استقر البوكورة في هذه المنطقة ربما منذ منتصف القرن التاسع عشر بعد أن نزحوا من الدوحة والضعاين وقبلها من الزبارة عند خرابها ، بسبب صراع القوى الإقليمية فيما بينها ومع البحرية البريطانية على الزبارة في القرن التاسع عشر ، حيث تركها سكانها إلى الدوحة وبقية أنحاء قطر .

وكذلك نجد لكل من قبائل قطر ديرتها التي تتكون من قرى ساحلية يركبون البحر منها وقرى داخلية يتخذون منها مصايف لبهائمهم حيث يتوفر الماء الخريج ، أما المياه العذبة فهي نادرة . هذا إضافة إلى منازل برية يقضون فصل الشتاء بها بدو رحل ، ففي شمال قطر على سبيل المثال ، نجد جنوب الخيسة قرية داخلية اسمها المشرب تسكنها قبيلة الكعبان وهي على صلة قوية بالبوكورة. ثم تبدأ ديرة المهاندة جنوب ديرة البوكورة - بعد أطلال الحويلة - في الخور والذخيرة وتوابعها من القرى الداخلية والمنازل البرية الشتوية التي يسكنها المهاندة . وفي الشمال والغرب من الغارية نجد عائلة الفضالة أو البن فرج وديرتهم المفجر (المفير) والسادة في الرويس والمنانعة في أبوظلوف والكبسه والفياحين والفياض في الجميل والخوير والعريش والخداج ، ويسكن محمد بن بحر من النعيم عين محمد وهي على بعد حوالي ٢ كيلو متر عن ساحل البحر ، تليها قلعة الزبارة حيث يقيم عبد الهادي بن زابن الدوسري مع عدد من الفداوية لحراستها منذ حرب الزبارة في عام ١٩٣٦ . وكان البوحسين من قبيلة البوعيين قد سكنوا العوينة في شمال قطر. ويسكن النعيم أم الماء والغويرية ومحيطهما في شمال غرب قطر. وفي العادة لكل قبيلة أو عائلة قرى ساحلية وأخرى داخلية ومنازل شتوية. وكذلك الحال أيضا بالنسبة لبقية أهل قطر في الوسط والجنوب والغرب من شبه جزيرة قطر ، لكل قبيلة أو عائلة أو جماعة قراها أو أحيائها في مدينة الدوحة والوكرة والقرى الكبيرة ، ولها منازل شتوية يشدون إليها بعد موسم الغوص.

فأهل قطر في معظمهم ، أهل بر وبحر ليسوا من البدو أو الحضر الخُصص ولهجتهم لهجة تميم التي تنطق الجيم ياء . أما المذهب السائد في شمال قطر فهو المذهب المالكي وكان طلاب العلم الشرعي يذهبون لدراسته في الاحساء عند آل مبارك ومن بينهم خالي محمد بن يوسف أمام وخطيب الغارية ومحمد بن راشد أمام الفويريط وخطيبها ، وهو شقيق سالم بن راشد وشقيق أولى زوجات والدي الثمان التي توفيت هي وابنها عند الولادة في فويريط ، وبعدها نزح والدي للسكن في الغارية .

من هنا يمكننا القول أن قطر في مرحلة ما قبل امتياز النفط حوالي ١٩٣٠ ، كانت أشبه بفيديرالية تتكون من تجمعات قبلية على شكل مجموعات قرى منفصلة جغرافيا وقبليا ، لكل قبيلة منازلها وهي الكفيلة بإدارة شئونها دون رعاية

اقتصادية أو تدخل من حكومة مركزية ، خاصة من مدينة الخور شمالاً. فقبائل قطر وعائلاتها منفصلة جغرافياً عن بعضها وتجتمع عندما يكون هناك خطر يحيق بشبه الجزيرة من البر أو البحر . وقد تعرضت في كتابي "تنمية للضياع .. أم ضياع لفرص التنمية " (١) لنشأت المجتمع القطري والتغيرات التي مر بها.

وفي تقديري أن سلطة حكومة مركزية في قطر لم تمارس إلا عند ما بدأ تطبيق اتفاقيات التنقيب عن النفط عام ١٩٣٤ وحرب الزبارة عام ١٩٣٦ . أما مفهوم الشعب القطري فإنه لم يظهر بشكل محسوس إلا بعد اكتشاف النفط وتجمع أهل قطر من كافة الأنحاء للعمل في صناعة النفط عند رب عمل واحد هو شركة نفط قطر والمقاولين العاملين لديها ، الأمر الذي جعل العاملين في صناعة النفط يتضامنون في مواجهة الشركة ويشكلون حركة عمالية نشطة تطورت منذ بداية خمسينيات القرن العشرين ، لتصبح جزء من حركة وطنية شاملة ذات مطالب اقتصادية واجتماعية وسياسية عامة ، تتركز في مدينة الدوحة في تواصل مع عمال النفط في الحقول البرية والبحرية.

وإذا عدت لوصف الغارية وذكر من يسكنها. فإن الغارية على ساحل البحر يحدها جبلان صغيران من الغرب ممتدان من الجنوب إلى الشمال وبينهما مدخل واسع . يبعد الجبلان عن البحر مسافة تتراوح بين ٣٠٠ متر في الجنوب و٤٠٠ متر في الشمال . وقد منع هذا الشكل التوسع في العرض وليس لأهل الغارية إلا التوسع على طول ساحل البحر على مسافة تبلغ حوالي ١ كيلو متر ، وهذا يناسب نشاطات السكان وتلبية حاجاتهم الملتصقة بالبحر ، معيشة وترفيها .

وجدير بالذكر إن السكن على الساحل أمام الجبلين في الغارية تاريخياً ، كان نتيجة الحاجة لتوفير الحماية والأمن في حالة الغزو من البر . فهنا نجد منازل الخليفات على الساحل ومقبرتهم خلف الجبل الشمالي ، وموقع قلعة محمد بن عبدالوهاب عند نهاية الجبل الجنوبي حيث بُني على أطلال القلعة منزل سيدة كريمة معروف ببيت المهندية. وعلى أطلال المساكن القديمة بنى البوكوارة منازلهم مستفيدين من الحصى والجس المتبقي من المساكن القديمة . أما الابواب والأسقف فقد كان من عادة أهل قطر قشعها عندما ينزحون من قرية إلى أخرى أو من بيت إلى آخر ، وذلك بسبب ندرة الخشب الذي كان يستورد من الهند في العادة ، تاركين جدران المنزل لمن يرغب السكن بعدهم فيه .

وعندما سكن الغارية أخيراً بعض البوكوارة بعد نزوحهم من الفويرط ضمن تسوية مع جماعتهم في الفويرط في أواخر القرن التاسع عشر ، سكنوا جنوب الغارية من نهاية الجبل الجنوبي وأقاموا مبان جديدة ذات مساكن ومجالس مطلية بالجص (الجبس) مزينة بأسقف ملونة تعبيراً عن يسر الحال ورواج صناعة وتجارة اللؤلؤ في مطلع القرن العشرين ، وذلك قبل سنة الدالوب (الإعصار) عام ١٩٢٦ و التي أدت إلى طبع (غرق) سفن الغوص وتحطمتها في سائر أنحاء الخليج. تلى ذلك دخول اللؤلؤ الصناعي الياباني إلى أسواق اللؤلؤ الطبيعي ، وما تلاهما من كساد عالمي عام ١٩٢٩. فقد أضرت تلك الأحداث الجسام تبعاً بصناعة الغوص وأدت إلى تدني أسعار اللؤلؤ وقوضت الحياة الاقتصادية المزدهرة على الساحل العربي من الخليج والتي كانت حتى عام ١٩٣٠ معتمدة على محصول نقدي وحيد هو بيع اللؤلؤ الطبيعي ، المصدر الوحيد لتمويل احتياجات المنطقة من السلع المستوردة وهي كثيرة .

وقد كانت تلك المنازل في جنوب الغارية أفضل من مباني الغارية الحديثة التي بنيت منذ عام ١٩٣٠ بعد أن بارت تجارة اللؤلؤ وتدنّت أسعاره وانعكس ذلك تدريجياً على حياة أهل الخليج كافة ، حتى بداية تصدير النفط في كل بلد من بلدان المنطقة. ومن بين المباني التي رأيتها بعيني غرفة علي بن شاهين حيث درسنا فيها القراءة والكتابة في أواخر الأربعينات على يد معلم عراقي وكذلك مجلس والدي الذي أعدنا ترميمه في عام ١٩٥٤ واتخذناه مقراً لنادي الغارية.

يقيم في الغارية عام ١٩٥٣ قرابة مائة عائلة يسكنون حوالي ٥٠ بيتاً ، فإذا افترضنا وجود ما بين ٥-٧ أشخاص في كل عائلة فهذا يعني أن تعداد سكانها في ذلك الوقت يتراوح بين ٥٠٠-٧٠٠ نسمة (٢).

يوجد في الغارية مسجد جامع عند منتصفها على ساحل البحر تقام فيه صلاة الجمعة وكان خطيبه وأمامه حتى ١٩٥٠ هو خالي محمد بن يوسف ثم بعد فقدان خالي في مكة المكرمة وانقطاع أخباره أثناء سفره للحج عام ١٩٥١ ، أصبح أمام وخطيب هذا المسجد من خارج الغارية وكان في نفس الوقت يعلم أطفال الغارية من الذكور القران . وفي شمال الغارية مسجد آخر لصلاة الفروض ، إمامه على ما أذكر ناصر بن أرجمه والمؤذن ناصر بن غيث. كما يوجد مصلى للعيد في الخلاء غرب جنوب المعترض يبعد حوالي ٥٠٠ متر عن الجبل الجنوبي ، ويصلي مع أهل الغارية صلاة العيد فيه أهل الخريجة وعذبه. واذكر خروجنا فرحين قبل كل عيد بأيام لتنظيف المصلى وتحضيره للصلاة. (٣)

ترتبط الغارية بعلاقات وثيقة بالقرى المحيطة بها والمتصلة بها قبلياً في دائرة قطرها يقارب ٣٠ كيلومتر، تبدأ بالقرى الساحلية تليها القرى الداخلية تليهما المنازل البرية . يعتمد أهل الغارية على قرية عذبه لجلب الماء العذب للشرب وسقي بهائمهم . وأشهر العيون العذبة هي عين اسماء وهي وقف لسيدة كريمة من البنغيث والدة ناصر بن أرجمه ، تليها

في العذوبة عين حديثة لعلي بن عمران تبعد عنها ربما ٣٠٠ متر ولكنها أقل عذوبة منها . ويوجد في عذبه عدد من المزارع أقدمها زرع بن رجب وهناك زرع لعبد الرحمن بن شاهين وزرع للمسلم .

يجلب الماء إلى الغارية من عذبة على ظهور الحمير . وكانت رحلة جلب الماء يقوم بها في الغالب نساء القرية أو بعض شبابها ونذهب نحن الأطفال معهم للمتعة بالرحلة ربما لأننا لا نجد شيئا اخر نعمله. وجدير بالذكر ان الغارية لا يوجد فيها بئر ماء عذب او حتى خريج ، لقربها من البحر ولم تنبت فيها نخلة او سدره او اي شجرة أخرى، لندرة الماء. وأول شجرة زرعت في الغارية كانت في المدرسة بعد أن أصبح الماء يجلب في صهاريج للقرى حوالي عام ١٩٥٧.

كما يعتمد أهل الغارية إلى جانب وسائل أخرى لصيد السمك الذي يحتاجونه ، على مساكن مبنية من الحجر بارتفاع نصف متر تقع شمال الغارية تبدأ بمسكن محمد بن خميس ومسكن سالم بن حمد وتنتهي شمالا بمسكن السدير ومسكن البنغيث اللذان يقعان في نصف المسافة بين الغارية وقرية المفجر ، وتقع شمالهما المملحة وهي منطقة منخفضة على ساحل البحر تتجمع فيها مياه البحر عند مواسم المد العالي ويتكون فيها الملح على شكل بلورات بحجم ١ سم نتيجة بخر مياه البحر في الصيف خاصة. وكانت هذه المملحة مصدرا للملح في المنطقة.

أما حجارة الجبس والطين الأبيض الرطب الناعم الصالح للبناء ، فيوجدان في شمال الجبل الشمالي . وقد اعتمد أهل الغارية على هذه المواد في بناء مساكنهم حتى عام ١٩٥٣ وبعد ذلك استخدموا الاسمنت والطابوق .

انتعشت الغارية منذ عام ١٩٥٠ كما سبقت الإشارة ، وفي عام ١٩٥٣ كانت مواسم الأعياد بهيجة تبدأ بالصلاة في مصلى العيد وبعد الصلاة يتجه المصلين لزيارة العائلات مبتدئين بأول بيت في الجنوب ومنتهمين بأخر بيت في الشمال ، تستقبلهم أكبر نساء العائلة وترحب بهم وتقدم القهوة وما تيسر من أكالات حلوة مثل العصيدة والبلاليط (نوع من الشعرية الرفيعة يطبخ محلى بالسكر) الذي عرفته الغارية حديثا . وبعد انتهاء هذه الجولة والتي لا تستغرق أكثر من ساعتين يعود كل إلى منزله استعدادا لغداء العيد والذي جرت العادة أن يقدم في ساحات معروفة للرجال وبيوت محددة للنساء حيث يخرج كل بيت غداءه ويشارك فيه الكافة ، الذين يتجمعون في الساحات والبيوت بعد حوالي ثلاث ساعات من صلاة العيد حوالي التاسعة صباحا. وفي عصر العيد تقام العرضة ويقرع الطبل والطار وتتالى الشيلات حتى صلاة المغرب. ولا تخلو النهاية من عدد من الذين يكفون ويسيطر عليهم الرقص وتشعر أنهم فقدوا وعيهم وأن الجن تلبس بعضهم وأصبح الواحد منهم يطلب شرب ماء البحر أو التهام الجمر . وبعد صلاة العشاء يتجمع شباب الغارية في حلقة لغناء الخريسان (السامري) ويترنم الجميع لتلك الأغاني والألحان الجميلة . وأذكر قصيدة كنت حفظتها تقول في مطلعها:

يا داخل السوق ما شفت ابن جارالله مدين ويتفكر في المزاييني

أنا أحسب أن المدين مخلص لله وأثرى المغربيل يخلت الناس بالديني

وكذلك تتجمع فتيات الغارية خلف الجبل الشمالي للمرادة وهي حلقة غناء يصطف البنات من ١٠-١٦ سنة فيها صفيين متقابلين يرددن الأغاني الجميلة ويتميلن دون أن يصاحبهم طبل أو طارة . وكنا كأطفال مسموح لنا الذهاب مع شقيقاتنا. وأذكر أغنية كانت البنات يرددنها في حلقة المرادة تقول:

بالقهوة بالشّارع وياك لويستوي منك بعشرين

يازين ذاك الريم يقلابك يازين صبك في الفنايل

وكانت أفراح أهل الغارية بهيجة يقيم الرجال فيها العرضة وأمسيات الخريسان ، ويلقى الرجال القصائد في الخلة عند زفتهم للمعرس . ويجتمعون على غداء العرس . وفي كثير من الأحيان يجتمعون قبل العرس بمدة ويقومون ببناء دار جديدة في بيت المعرس للمعرس ، وتسمى الفزعة حيث يقوم الرجال بالبناء دون أجر ، وحسب صاحب الدار أن يقدم لهم فطور وغداء.

وقد كان وصول العاملين في دخان كل أسبوع في سيارة نقل يملكها علي بن عمران ويسوقها ابنه محمد بن علي ، مناسبة تضاهاي مناسبات الأعياد والأعراس ، المقيمون فرحون بأبنائهم وأزواجهم والقادمون فرحين بالعودة للأهل محملين ببعض ما اعتادوا عليه في دخان من وسائل معيشة ومن عادات جديدة ، المتزوجون منهم فرحون بلقاء زوجاتهم والعزاب يؤهلون أنفسهم للزواج من فتيات القرية وما حولها . وقد شهدت عدد من الزيجات الموفقة بعد أن ارتخت عادة

زواج بنت العم من ابن عمها اللصيق وأصبحت عائلات الغارية توسع خياراتها وتقبل التزاوج بين العائلات بعيدة عن عادة "حيار" ابن العم لبنت عمه ولو كان متزوجا.

ولعل عادة أولوية ابن العم في زواج ابنة عمه حتى لو كان متزوجا ، هي التي حالت دون زواج الشاعر القطري المشهور محمد بن عبدا لوهاب الذي مات صريع العشق والحرمان بعد أن منع من زواج من أحبها قلبه وتطلع للزواج منها. وقد ترك الشاعر ديوان من الشعر يعبر عن حاله وقشل الوساطات الكثيرة التي لجأ لها ، لان ابن العم اصر على الزواج ممن يرغب بن عبد الوهاب وزاجها وليس من مانع اجتماعي لقبوله زوجا لها ، ولكنها العادات قد حالت دون زواج اشهر شاعر و محب في قطر بمن عشم النفس بالزواج منها .

وجدير بالتأكيد أن الغارية كانت أمنة دون وجود قوات أمن ، لا توجد بين أهلها نزاعات تذكر ولا سرقات سوى ما قد يقوم به بعض الشباب الطائش من تصيد دجاجة أو خروف يقيمون عليه وليمة في قلب الليل ، سرعة ما ينكشف أمرها وتسوى بين الكبار. وجدير بالذكر أن الغارية لم يوجد فيها حتى ذلك الوقت مركز شرطة أو مأمور جمارك أو جباية من أي نوع ، يسافر أهلها إلى البحرين والقطيف والبصرة وأي مكان آخر دون جوازات ولا يدفعون جمارك أو إتاوات. وأول مركز اقيم فيها كان لخفر السواحل بعد عام ١٩٥٣.

تجارة الغارية كانت أكثر مع البحرين منها مع الدوحة فرحلة السفينة إلى المحرق في البحرين تستغرق أربع ساعات في العادة ورحلتها للدوحة تتطلب أكثر من عشر ساعات. هذا إلى جانب تعود أهل شمال قطر عامة على التعامل مع البحرين أكثر من تعاملهم مع الدوحة ، حتى بدأ عمل الرجال في دخان وبدأت إمكانية السفر بالسيارة للدوحة مباشرة او عن طريق دخان تنزايد.

ولعل كون الغارية هي أكبر القرى التي يسكنها البوكوارة ، جعل منها مركزا تجاريا للمنطقة في تجارة التمر وبقية المواد الغذائية ومعدات البحر. و أكبر متاجرها يملكه علي بن عمران يليه علي بن خليفه بن عجاج وجاسم بن محمد البنغيث. كما يوجد فيها عدد من سفن السفر ونقل البضائع المتوسطة أحدها لسعيد بن جمعه وأخرى لماجد بن عبدالله ، وأخر سفن الغوص في المنطقة كان يملكها علي بن عمران ويركب الغوص منها عدد من أهل قرى الشمال كافة .

وقد شهدت في عام ١٩٥٣ اجتماعا حضره البوكوارة من جميع القرى ومنهم علي بن شاهين من عذبه وخليفه بن ناصر بن طوار من فويرط وعلي بن عمران عن الغارية ومن يلونهم في السن والمكانة وكان والدي ومعظم أهل الغارية حاضرون . كان موضوع الاجتماع هو كتابة رسالة للشيخ علي بن عبدالله حاكم قطر يطالبونه فيها برواتب من دخل النفط بعد أن وصل لعلمهم ان الحكومة خصصت جزء من عائدات النفط لإفراد اسرة ال ثاني. وقد تعاهد بناء على طلب الحضور ، علي بن عمران وعلي بن شاهين وخليفه بن ناصر أن يكونوا يدا واحده وان تكون حقوق الجميع متساوية لما سيحصل عليه أبناؤهم . وقد تم العهد وكتبت عريضة على ورقة وبقلم ومحبرة قدمتها للحضور بأمر من والدي ، وكان الاجتماع غرب بيت العجلان في ظل جدار وقت الضحى.

وقد تم تقديم تلك العريضة للحاكم بعد أيام ، مما جعله أن يحجز الثلاثة الكبار لبيع ساعات ثم يعرض عليهم " جواعد" سنوية " (أعطيات) متوسطها ٥٠٠ ربية في السنة. وقد قبل القوم فرحين أو مضطرين ، دون ان يعلموا كم هي الرواتب الأخرى ولا كم هي عائدات النفط. وقد جرت تلك "الجواعد" لكافة أهل قطر عندما طالبوا بها تدريجيا وإنشاء لها ديوان وسجل ، وظلت ثابت حتى تخلت عنها الغالبية العظمى من شعب قطر بعد أن أدرك الشعب أن حقوقه تتعدى تلك العطايا (الجواعد) الزهيدة ، وعليه ان يطالب بحقوقه كشعب وليس كعائلات وقبائل ، وذلك عندما أشدت عضد الحركة الوطنية في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين

أما علاقة الغارية في تلك الفترة خارج محيطها من قرى البوكوارة ، فقد كانت قوية مع المفجر (المفير) لأنها الأقرب مسافة لها ، و كان فيها من الرجال المعروفين علي بن صالح الفضاله ، وكان أعمى و لكن صاحب بصيرة وذا طبع مرح و محبوب ، و أذكر انه إذا جاء الغارية يحتفي به الناس ويسعدون بلقائه. تليها قرية الرويس في الركن الشرقي الشمالي (راس ركن) من شبه جزيرة قطر . وكنا نسمع عن الشيخ حسين بن صالح السادة وعلي بن محمد السادة من أهل الرويس وهم سادة من سلالة بني هاشم . ويعتبر الشيخ حسين بن صالح مفتي الشمال يعود إليه اهل الشمال عند الحاجة للاستفسار حول المسائل الدينية وطلب العلم . ومن الطرائف بين الرويس والغارية أن امرأة من أهل الرويس انتقدت البوكوارة لأنهم يطلقون أسماء جمعه وخميس وسبت على بعض رجالهم ، فردت عليها خالتي لولوه بنت يوسف قائلة " ماذا نعمل اخذتم أسماء الشهور وأطلقتموها على الرجال عندكم ، مثل شعبان ورمضان ورجب فلم تتركوا لنا سوى أسماء الايام. وخالتي لولوه معروفة بالفكاهة وسرعة البديهة ولها طرائف لا يتسع المقام لذكرها .

و المناعة في أبوظلوف تربطهم علاقة طيبة مع فويرط والغارية ومن أشهر المناعة الذين كنا نسمع عنهم في صغرنا ، المرحوم حمد بن سالم المناعي و هو رجل كريم وفاضل. وكانت عمتي نجلاء متزوجة من محمد بن زيد من المناعة في أبو الظلوف انجبت منه صالح وسعيدة البن زيد قبل أن يتوفي زوجها وتعود لفويرط حيث يقيم جدي علي بن صالح الذي زوجها مرة أخرى لناصر من البنغيث و انجبت منه بنت عمتي ميرة بنت ناصر زوجة حمد بن شاهين البنغيث. ويذكر والدي قصة خلاف جدي علي بن صالح مع البنغيث عندما قرر أن يزوج ابنته لولوه لسلطان بن مبارك بن فهد البورايج ، فقد احتج البنغيث وأعلنوا "حيار" لولوة وهددوا جدي بالقتل لأنهم أقرب من البورايج له ولهم حق "حيار" عمتي لولوه، ولكن جدي لم يعيرهم بالا لأنه اعطى كلمة للبورايج وهم أبنا شقيقة جدي شريفه وأصهاره ، واتفق مع البورايج أن يزوجهم خلال موسم الشتاء عندما يترك الجميع القرى الساحلية ويشدون للبر وقد كان له ذلك. وبعد أن هدأت الخواطر زوج ابنته الكبرى لولوه التي توفي زوجها لناصر البنغيث ، كما سبقت الإشارة.

وبعد المناعة تقع مساكن الكيسة ، وأكثر من كنا نسمع عنه في ذلك الزمن الشاعر لحدان بن صباح ، و هناك أيضا رجل أسمه محمد بن بحر النعيمي و كانت عنده منطقة على الساحل استقر فيها مع جزء صغير من قبيلة النعيم ممن لم يهاجروا إلى البحرين بعد حرب الزبارة.

هذه ذكرياتي عن الغارية في عام ١٩٥٣ وقد اسهبت في وصف الغارية وذكر أهلها في تلك السنة الفاصلة باعتبارها نموذجا لقرى قطر وشطف العيش فيها. لعل ذلك الوصف وتلك الذكريات تقرب صورة الماضي الذي اندثر بعد ان اندثرت قرى قطر وأحيائها وأصبحت الاجيال الجديدة لا تعرف ألا ما ترى وتجهل ان في قطر مجتمع متصل الوجود على افراده وجماعته ان يتواصلون وان يعرف الجيل الجديد شيئا عن الماضي بما فيه من شطف العيش وقوة العلاقات الاجتماعية ، في وقت اصبح فيه القطريين مجرد أقلية في بلادهم ، ليسوا اكبر الاقليات كما تشير الاحصاءات اليوم بل ربما يقعون في المركز الخامس من حيث العدد بين السكان .

ملاحظات

١. علي خليفه الكواري ، تنمية للضياع ! أم ضياع لفرص التنمية ؟ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٦ ، (صفحة ٢٠١-٢٢٨).
٢. وعلى ما أذكر فمساكن أهل الغارية عام ١٩٥٣ من الجنوب للشمال ، تبدأ بما تبقى من بيت علي بن شاهين الذي يسكن وأبناءؤه الخريجة وعذبه أكثر من سكن الغارية ، ثم بيت المهندية وبيت أحمد بن علي بن شاهين ومجلس ودكان علي بن خليفه بن عجاج الكبيسي وبيت أخوه الشاعر سالم بن خليفه وعجاج بن ربيعه الكبيسي وإخوانه وهم أيضا يسكنون عذبة أكثر من سكنهم الغارية. يلي ذلك بيت حسن بن جاسم وبيت مطوع الغارية وبيت مرشد وأبنة سالم بن مرشد وفرج وهو نوحذا الصير سفينة علي بن عمران . وبيت عبد العزيز بن علي بن عمران ثم بيت جاسم بن محمد البنغيث وأخوه خميس ومعهم شاهين و ابراهيم بن مبارك . ويأتي بعد ذلك أكبر وأوسع بيوت الغارية بيت علي بن عمران وهو البيت الوحيد الذي يمتد من الساحل حتى الجبل وتسكنه أكثر من عشر عائلات من أبناء علي بن عمران ، وبه مجلسان ومتجر وبجانبه ورشة لصيانة السفن ، يحاذيه من الشمال بيت خالي محمد بن يوسف وأبناء عمه محمد وخليفه بن جاسم بن علي ، يليه من الغرب بيت خالي راشد بن يوسف وبيت علي بن جاسم زوج خالتي لولوه بنت يوسف وابنه جاسم بن علي ، وبيت يوسف وجاسم أبناء خالي محمد بن يوسف وبيت زامل ، وإلى الشرق منهم بيت فهد بن مرشد يليه من الشرق على البحر مجلس وبخار تمر يخص جاسم بن محمد البنغيث يليه من الغرب بيت ناصر بن رحمة البنغيث وبيت محمد وصباح بن غيث. ومن الشمال على الساحل بيت جمعة بن راشد وأبنائه سعيد وسلمان وهما أزواج شقيقاتي مريم وفاطمة ، وملاصق لهم بيت عليا بنت عيسى الذي يسمى بيت الخويطر وكان يسكنه قبل ذلك صالح بن شاهين كبير البنغيث . وإلى الغرب منهم بيت محمد ابن خميس وأخيه سلمان بن علي وبجانبه بيت ناصر بن غيث وبيت انتقل إليه خالي راشد بن يوسف وأبنة أحمد بن راشد ، ومن الغرب بيت الجفال وبيت محمد بن عجلان وأبنائه جاسم وحمد ويحاذيهم من الغرب والشمال بيت خالتي حصة بنت يوسف وأبناءها عبد الله وعلي بن راشد وفي هذا البيت تربينا وعاشت شقيقاتي لولوه ونجلاء عندما سافرت وأخي يوسف مع والدي للمملكة العربية ، وبعد العودة سكنا البيت المحاذي له وهو بيت هلال بن طارش الذي يحاذيه بيت سعد بن ربيعه ثم هناك ساحة كبيرة تستخدم في الاعياد تحيط بها البيوت حيث يقع بيت سعد بن أحمد وأخوه محمد بن أحمد ، ثم بيت أحمد ابن سعد وأبنائه جابر وأرحمه وإلى الشرق منهم على ساحل البحر بيت حمد بن شاهين وهو زوج بنت عمتي ميرة بنت ناصر وفي الشمال بيت ماجد وهلال بن عبدالله وبيت العفصان وفي الشمال بيت سالم بن حمد وصهره علي بن جهام وأخيرا بيت جديد لسالم بن أحمد وبيت مبارك بن عجلان وارض فضاء على البحر حجزها والدي بقصد البناء عليها واستمرت حتى تملكها بلدية الشمال في حوالي ١٩٨٥ مع بيت والدي ومجلسه في جنوب الغارية.
٣. هذه هي الغارية حسب ما تسعفني الذاكرة ، لعل من يتذكر أفضل مني ان يصحح ما لم تحتفظ به ذاكرتي بعد سنتين عام . وسوف أسعى بمساعدة من يرغب لرسم مخطط لكل معالم الغارية ، مساكنها وساحاتها ومداخلها والمساجد والمتاجر فيها. فقد كانت الغارية نموذجا لقرى قطر قبل عصر النفط .

من الغارية إلى الريان

في أواخر عام ١٩٥٣ قرر أبي أن يترك الغارية ، حيث بدأ يرى أن المستقبل له ولنا يتطلب الانتقال من الغارية وتأسيس حياة جديدة في الدوحة. وبذلك كان والدي من أوائل من ترك الغارية إلى الدوحة ، وبعد ثلاث سنوات تتابعت الهجرة إلى الدوحة بشكل متصاعد ، لأسباب مختلفة أهمها تشجيع موظفي الحكومة للصراع بين أهل قرى الشمال عامة والغارية خاصة ، بسبب تضارب المصالح الناشئة عن مشروعات حكومية صغيرة في قرى الشمال صاحبها مع الأسف ، تناحر بين الأفراد والعائلات على من يأخذ الفرصة منهم في العمل في تلك المشروعات مثل بناء مدرسة أو تعميم مسجد أو نقل الماء بالصهاريج والطلاب إلى المدارس القريبة. هذا فضلا عن انعدام فرص العمل وكسب الرزق محليا وغياب الخدمات و تأخر فرص التعليم مقارنة بالدوحة. وقد أدى هذا النزوح الفردي والجماعي إلى خراب معظم قرى شمال قطر تحت سمع وبصر الحكومة ، حتى لم يبق في الغارية على سبيل المثال في ستينيات القرن العشرين ، سوى ثلاثة بيوت انتقلت فيما بعد إلى مدينة الشمال بضغط من الحكومة وتهديدا بقطع الخدمات الحكومية عنهم ، تاركة الغارية التي كانت عامرة بأهلها ، خرائب وأطلال حزينة .

وبالمناسبة والدي الذي كان يناهز الستين عام آن ذلك ، لم يتزوج بعد وفاة والدتي حتى وقت استقراره في الدوحة ولم يستقر في الغارية منذ أن تركها مع عائلته إلى البحرين عام ١٩٤٧ ، وإنما عاد إلى الغارية بعد وفاة والدتي في البحرين لتكون بين الأهل وسافر إلى السعودية وأخذني معه حتى عودتنا النهائية عام ١٩٥٢ لتكون مع أخواني والأهل هنا . وكذلك فإن ولدي لم يكن يرغب الالتحاق بشركة النفط في دخان وإنما كان ينتظر الوقت المناسب ليختار مكان استقراره ويتزوج ويلم شمل العائلة. وكان والدي أثناء إقامتنا القصيرة في الغارية ينفق من مال وفره من بيع بيت ومتجر كان يملكه ويديره في الثقبه في المملكة العربية . وعلى ما أذكر فإن المبلغ الذي عاد به كان يناهز ١٠ آلاف ريال سعودي وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت ، كفاه إلى حين .

في أوائل عام ١٩٥٤ وبعد زيارات متقطعة للدوحة والريان وزيارة محمد بن سلطان البورايح وإخوانه والتشاور معهم ، قرر والدي أن ننتقل بعد أن رتب السكن بجوار أقربائنا البورايح وبمعرفةهم في الريان القديم .

أخذني والدي معه كالعادة وحال وصولنا للريان أرسلني لمدرسة الدوحة الابتدائية ، وبعد الاختبار تم التحاق بالصف الثالث تمهيدي (الثالث ابتدائي) لمعرفتي القراءة والكتابة. وقد كانت تلك المدرسة هي المدرسة الابتدائية الوحيدة في قطر ، تقع في شرق الدوحة في ذلك الوقت وهي ما زالت مدرسة ابتدائية تدعى اليوم مدرسة خالد بن الوليد .

أول ما لاحظته عند استقرارنا في الريان هو الفرق بين نمط الحياة وطبقتها في الريان مقارنة بالغارية واختلاف طبيعة العلاقات بين سكانه عن ما عهدته في الغارية. فالريان مجتمع تراتبي و الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين سكانه كبيرة وظاهرة . فهناك الشيوخ من آل ثاني وهم أيضا درجات لهم المكانة الاجتماعية الأعلى والنفوذ ويتمتعون بمستوى معيشة عالي جدا يدعو للترف مقارنة ببقية أهل قطر ، يسكنون في قصور أو بيوت كبيرة جديدة متميزة عن بقية سكان الريان بسبب الرواتب التي يتقاضونها من عائدات النفط والعطايا والمخصصات من الحاكم ، لديهم الكثير من الخدم والفداوية والأخويا ، سياراتهم فارهة وجديدة وشبابهم متمتع بما لديه دون حاجة لعمل أو عناء الذهاب للمدرسة في الدوحة. وكانت هناك قلة من أهل الريان يرتبطون بنسب قديم أو جديد مع آل ثاني أو جيرة قديمة ، أما اغلب سكان الريان بعد ذلك فهم من العاملين لدى آل ثاني خدمات أو فداوية أو أخويا. وجدير بالذكر إن الريان في ذلك الوقت كانت قرية واحدة وهي ما عرف فيما بعد بالريان القديم قبل أن يؤسس الشيخ علي الريان الجديد ويتخذها سكنا له ولأبنة الشيخ أحمد بن علي.

وربما يكون من المفيد والمناسب أن أذكر في الهامش لمن يرغب ، ما عرفته فيما بعد من مصادر رسمية لحكومة قطر حول عائدات النفط وأوجه تخصيصها في تلك الفترة التي تحدثت عن مظاهر تدفق عائدات النفط وحصول أهل الريان من آل ثاني على نصيب معتبر منها في شكل رواتب وعطايا ومخصصات (١) .

في هذا الجو الذي تنعدم فيه مصادر المساواة ، وجدنتي أنزوي حيث نسكن في فريج البورايح ، لا تتعدى علاقتي سكان الحي الصغير الذي يكاد يكون قرية منفصلة عن مركز الريان ، شبيهه بالغارية إلى حد كبير . ولذلك فأنا ذكرياتي

عن الريان باهتة ومعيشتي فيها قصيرة لا تتعدى أشهر معدودة ، كانت نفسي أثنائها متعلقة بالغاربية وأهلي فيها وأخواتي الذين ما زالوا هناك في انتظار استقرار والدي في الدوحة.

والذكرى الراسخة في ذهني في بداية إقامتنا في الريان، كانت في نهاية موسم الشتاء عندما خرج أهل فريج البويرايح ، نساء وأطفال وبعض الرجال في الليل لصيد الجراد الذي غزا الريان وما حولها ، ربما بسبب وجود مزارع تحيط بالريان . ذهبنا قبل الفجر بقليل ، عندما نزلت درجة الحرارة وسقط الندى فأصبح الجراد مترامك على الأرض عاجزا عن الطيران بسبب الرطوبة والبرودة في آخر موسم الشتاء. عندها بدأنا نملئ الأكياس الكثيرة التي جئنا بها ، بالجراد حتى طلوع الشمس. و بعد العودة فرحين بغنيمة الجراد بدأ الناس في سلقه في الماء والملح وتجفيفه ليؤكل فيما بعد. وقد كان جراد ذلك الزمن سمين وشهي لم يتعرض للمبيدات فأكلناه مثل أكل المكسرات ، منتقمين منه لاعتدائه على المزارع والأشجار!!.

وإذا عدت للحديث عن المدرسة فإن ذاكرتي لا تسعني بما يستحق الذكر ، غير أنني بدأت كعادتي منذ اللحظة الأولى ادرس بجد استعدادا لامتحان آخر العام الذي لم يعد بعيدا وإنما بعد حوالي ثلاثة شهور . فانا لا اذكر زملائي من الطلاب ولا المدرسين ولا مضمون المواد الدراسية ، وأذكر فقط ان مدير المدرسة اسمه فهمي الحموري من فلسطين، ربما لأن الفترة التي قضيتها في المدرسة قصيرة لم تسمح بالتفاعل وتكوين الأصدقاء .

وإذا كان لي أن أذكر انطباعاتي عن مدينة الدوحة ، فإن الدوحة حتى ذلك الوقت لم تكن مدينة واحدة ، و أحيائها غير متلاصقة ولا متصلة ببعضها ، بل هي فرجان أشبه بالقرى المستقلة عن بعضها . فهناك الدوحة الأصلية القديمة من الديوان الأميري الحالي في الغرب تليه الجسرة وسوق واقف وعدد من فرجان الدوحة القديمة مثل براحة الجفيري وفريق البحارنه وفريج النجاهه وفريج الغانم وفريج آل أحمد ، وفريج المطاوعة جماعة الشيخ شاهين خطيب وإمام مسجد سوق واقف . ثم تأتي الاحياء الشرقية الشمالية مبتدئة بالمرقاب والعسيري واسلطة والهتمي والخليفات ، كلها محاذية للبحر شمال الدائري الثاني اليوم بمسافة و الذي يمتد اليوم من راس أبو عبود إلى شارع الكهرباء . ثم الاحياء الغربية الشمالية وهي البدع والرميلة فقط. وكانت المنازل الكبيرة لأبناء الشيخ علي والشيخ حمد بن عبدالله خاصة ، قد بدأت تشيد على طرفي شارع الريان من غرب الديوان . وقد خصصت أيضا أراض وبنيت مساكن لعدد من العطية على شارع الريان هذا غرب بيت جاسم بن حمد . وإذا كان علي أن أقدر سكان الدوحة وضواحيها في ذلك الوقت فرمما بلغوا حوالي ٢٠ ألف نسمة يشكل المواطنون منهم الثلثين.

كانت إقامتنا في الريان قصيرة و ذاكرتي باهتة كما سبقت الإشارة ، حتى إنني لا أذكر كيف كنت أذهب من منزلنا في الريان إلى المدرسة في الدوحة . ربما كنا نذهب إلى المدرسة بسيارة أحد الأقارب أو أحد أهل الريان وربما تكون سيارة مخصصة لنقل الطلاب. وفي بعض الأحيان في رحلة الرجوع أيام الامتحانات نتأخر في الدوحة ونمر على مجلس جاسم بن حمد وزير المعارف الأسبق لتناول الغدا . وكان طعامه لذيذ و دسم ووافر ووجبة تستحق التأخر من أجلها. وكان الرجل كريم ومرحب بالشباب ربما لأنه كان يقوم بدور من أدوار المعارضة تأييدا لحق شقيقه خليفه بن حمد في ولاية العهد . وقد أخبرني الصديق أحمد بن ناصر عبيدان أن آلة الكاتبة التي كانوا يطبعون عليها المناشير ضد الانجليز عام ١٩٥٦ كان مصدرها جاسم بن حمد عن طريق خليفه بن عبدالله العطية. وبعد الغداء نقف في شارع الريان ونؤشر على السيارات الداخلة للريان وفي العادة لا ننتظر كثيرا من كثرة سيارات أهل الريان.

كانت الريان في ذلك الوقت مقر الشيخ عبد الله بن جاسم حاكم قطر الأسبق الذي تنازل عن الحكم بترتيب من السلطات الانجليزية لابنه الشيخ علي بن عبد الله بعد ان بدأ تصدير النفط عام ١٩٤٩ ، وبدأت حاجة سلطات الحماية البريطانية كالعادة إلى حاكم جديد يناسب مهمات المرحلة من وجهة نظرها ، كما حصل في البحرين سابقا وفي أبو ظبي وعمان لاحقا.

وجدير بالتأكيد أن ذلك الترتيب لم يحظ بقبول أبناء الشيخ حمد بن عبدالله الذين يعتبرون شقيقهم خليفه بن حمد هو الأولى بولاية العهد بعد والدهم الذي توفي في عام ١٩٤٧ وكان والدهم ولي عهد أبيه عبدالله بن جاسم والحاكم الفعلي لقطر قبل وفاته. وقد استمر الخلاف حول هذه المسألة مما جعل من خليفه بن حمد وإخوانه معارضين يتطلب كسبهم حتى تمت تسوية ذلك الامر بمعرفة السلطات البريطانية ، عام ١٩٦٠ عندما تولى الشيخ أحمد بن علي ابن الحاكم الإمارة من والده ، وأصبح الشيخ خليفه بن حمد وليا للعهد ونائبا للحاكم .

و يسكن الريان أيضا عدد من آل ثاني لاسيما جاسم بن علي بن عبدالله وأبناء الشيخ حمد وحسن بن عبدالله . كما يسكنها علي بورشيد وعدد من المعاضيد وبعض آل خاطر ، والبورايج وهم من احتضننا وأحسن ضيافتنا ومنهم محمد وإبراهيم وشاهين وراشد بن سلطان وعلي بن صالح وعبدالله بن أحمد صهر البورايج وزوج شقيقته شريفة المسماة على اسم جدتهم وأخت جدي شريفة بنت صالح. وناصر بوزايد العلي صهر البورايج وزوج شقيقته لطيفه بنت سلطان أم غانم . وقد كانت أم غانم ومعها بقية نساء البورايج لي وإخواني بمثابة الأم . وكذلك جيران البورايج وأذكر منهم سيف المحين و عائلة السحوتي وكانت ربة البيت امرأة يعتد بها وقد أحاطتني برعايتها ، ومع الأسف لا أذكر اسمها ولا اسم ابنتها التي كانت تعيش معها. أما ريفي في الريان فقد كان غانم بن سلطان الهديفي لقرب السن بيننا والقراية.

كان محمد بن سلطان البورايج على وجه الخصوص يصحب والدي دائما ومجلسه مجلسنا ، وقد زرت معهما بعض مجالس أهل الريان ومنها مجلس الشيخ عبدالله بن جاسم وكان رجلا مسنا يحظى بالاحترام وكان مجلسه غير مكتظا وفيه فسحة للحديث . و أذكر أيضا أنني زرت مع والدي علي بن محمد بورشيد وتعرفت على ابنه محمد . وقد كان والدي كثير الذهاب للدوحة ربما يستطلع الفرص ويخطط للانتقال بعد أن تنتهي المدرسة ، ولم يقل لي عن خطته وربما كان أولها أن أذهب للعمل في دخان بعد انتهاء الدراسة ليتفرغ لثئون نفسه فيتزوج بعد أن ينتظر منذ وفاة والدي عام ١٩٤٩ ، وينتقل للدوحة بعد ان يؤمن المسكن والعمل هناك. وقد كان له ذلك بعد أن ذهبت للعمل في شركة نفط قطر في دخان.

بعد أن انتهت المدرسة في الصيف أخذني والدي ومعه محمد بن سلطان الذي أخذ ابن أخته غانم بن سلطان الهديفي وكان في مثل سني ، لبيت الشركة من أجل التقدم للعمل في الشركة. تم قبول غانم للعمل في أم سعيد وأنا تم قبولي للالتحاق بمدرسة الشركة في دخان بعد أن طلب مني مدير الشركة أن أقرأ له من كتاب واكتب رسالة يبدو أنها أعجبه فقرر أن يرسلني لمدرسة الشركة للتدريب على الأعمال الكتابية. و مما يستحق ذكره أن مسئول الشركة كان يعرض ٥ روبيات يومية لكل الملتحقين الجدد بالشركة وبعضهم مثلي ممن تركوا المدرسة للعمل في الشركة ، إلا أنه قرر أن تكون يوميتي خمس روبيات وربع وهذا الفرق الضئيل كان له معنى كبير عندما ذهبت إلى دخان وعلم الأقرباء أن الشركة ميزتني بربع روبية ووجهتي للتدريب على الأعمال الكتابية بدل التدريب على النجارة والحدادة والأعمال الفنية مثل الكثير من تاركي المدرسة في الدوحة والملتحقين الجدد من الشباب الآخرين. ولم يكن في الشركة سوى شخص واحد حصل على نفس المعاملة قبلي وهو الزميل حمد بن منصور الهاجري ابن منصور بن خليل دليل الشركة وذاكرة قطر ، والوجه المشرق لقرية الخطية ودخان عامة .

ملاحظات

١. يذكر J.W Cummins وهو خبير مالي عينه مستشار حكومة قطر الأنجليزي ورئيس الإدارة العامة الناشئة في قطر ، في تقرير حول حسابات وتنظيم حكومة قطر في الفترة من ١٩٥٠-١٩٥٢ (انظر رسالتي لنيل الدكتوراه ص ١٥١-١٥٢) . يذكر التقرير ان حكومة قطر استلمت اول عائدات من صادرات النفط عام ١٩٥٠ بعد ان تم تصدير النفط في عام ١٩٤٩ ، حيث بلغت عائدات النفط في الفترة من ١٩٥٠-١٩٥٢ اربعة وسبعون مليون ربييه ، كان نصيب الخزينة الخاصة للحاكم منها (مخصصات حاكم قطر ٢٥% من عائدات الدولة من صادرات النفط) حوالي ١٩ مليون والاحتياطي العام للحكومة المستثمر في بريطانيا ٣٢ مليون ، أما مصروفات الحكومة خلال هذه الفترة فكانت ٢٤ مليون ربييه ، متضمنة رواتب أفراد أسرة آل ثاني والتي أصبحت تخصص مباشرة من ميزانية الحكومة. وبالتالي فإن حصة الحاكم وبقية أفراد أسرة آل ثاني بلغت حوالي ٣١% من أجمالي عائدات النفط للفترة من ١٩٥٠-١٩٥٢. وقد ارتفعت حصة الحاكم وبقية أفراد الأسرة الحاكمة ، نتيجة تزايد مستحقي الرواتب من أفراد الأسرة وارتفاع مستوى الرواتب والمخصصات ، إلى ثلث عائدات النفط في ١٩٥٣ . وكانت النية عند المستشار الأنجليزي الذي له حق التوقيع على الشيكات الصادرة من حكومة قطر إلى جانب الحاكم ، متجهة أن تظل عند مستوى الثلث هذا على أن يخصص الباقي للنفقات الحكومية بعد أن يتم توجيه ربع العائدات للاستثمار في بريطانيا كاحتياطي عام استثماري ، إلا إن مطالبات أفراد الأسرة برفع الرواتب والتوسع في عدد مستحقيها قد أدت إلى تصاعد حصة الأسرة الحاكمة من عائدات النفط حتى فاقت نصف عائدة الدولة من النفط في ١٩٧٠. (لمزيد من التفصيل حول نمط تخصيص عائدات النفط في قطر ، أنظر رسالتي لنيل الدكتوراه : ص ١٤٨-١٦٨ ، على الرابط التالي: http://etheses.dur.ac.uk/8012/1/8012_5012.PDF?+UkUDh:CyT

٢-٣

من المدرسة إلى العمل في شركة نفط قطر في دخان

العمل في شركة نفط قطر في ذلك الوقت ، كان جذابا يحظى باهتمام الشباب وأسرهم في قطر ، ممن لم يلتحقوا بالمدرسة او ممن يتركونها للالتحاق بالعمل في شركة نفط قطر. وكانت الأسر تشجع على ذلك ، فقد كان الراتب مغريا والعمل في الشركة ينضج الشخصية ويكسب صاحبه مهنة. وكانت الشركة حينها توظف الشباب في أعمال حرفية بعد أن يتم تدريبهم . وكان نصيبي أن تم اختياري للتدريب على الأعمال المكتبية كما سبقت الإشارة.

عندما وصلت إلى دخان بعد اجتياز الفحص الطبي في أم سعيد في أواخر شهر يوليو ١٩٥٤ ، لم أشعر بالغربة ، ففي دخان معظم شباب الغارية والقرى المجاورة لها . كان هناك ابن خالتي علي بن راشد ، وابن خالي أحمد بن راشد وأبناء خالي يوسف وجاسم بن محمد بن يوسف ، وابن عم والدتي خليفه بن جاسم ، وهؤلاء هم أقرب الناس لي وفي مقام أخواني الكبار.

حال وصولي كان أقربائي قد قرروا أن أسكن مع أحمد بن راشد ومعه صديق عزيز من أهل الغارية هو سالم بن مرشد. فسكنت معهما في بيت يتكون من غرفتين وحمام ومطبخ في الكمب رقم ٥ غرب دخان ، وهو حي للمهنيين من القطريين وأهل الخليج ، بينما يسكن المهنيين الأجانب ومعهم عرب الشام كمب آخر بعيد عن هذه المنطقة في شرق جنوب دخان على طريق الدوحة .

كانت لنا غرفة واسعة بثلاثة أسرة وجيراننا من عمان لهم الغرفة الأخرى. ويوجد قريبا من مسكننا كمب اخر للقطريين وأهل الخليج خصص للعمال بعد أن تم نقلهم من الكمب القديم الذي بني من الجريد والصفوح على عجل عند بداية نشاط الشركة . ويوجد مطبخ لكل كمب يحضر الطعام ويوفره لكل سكان الكمب في مواعيد الوجبات بناء على عدد الأفراد المقيمين في كل غرفة ، وكذلك يوجد ناد للعمال سوف أتحدث عنه لاحقا. أما الانجليز وبقية كبار الموظفين من غيرهم وهم قلة ، فكان لهم حي خاص شمال دخان معزول بسور ، به مساكن عائلية ومطعم وناد متميز في الحي و ناد بحري على الساحل.

بعد أن استقرت في السكن وألفت المكان بوجود أهل الغارية في دخان ، التحقت بمدرسة الشركة التي يقوم على إدارتها الأسكتلندي جورج مجيكي وهو شخص جمعني معه العمل مرة أخرى عندما أصبحت نائبا لرئيس مجلس إدارة الهيئة القطرية للبترول عام ١٩٧٦ ، وهو مدير العلاقات الحكومية وشئون الموظفين في العمليات البرية للهيئة (شركة نفط قطر سابقا) . كما يدرس اللغات بالمدرسة صبحي خضر زايد من إربد بالأردن وقد استمرت صداقتي معه لسنوات بعد أن تركت الشركة. وهناك مدرسان لتعليم سياقة السيارات ومدرس لكل من مهنة النجارة والحدادة والميكانيك التي تتم بعيدا عن المدرسة في الإدارات والورش المتخصصة تحت إشراف إدارة المدرسة . أما أنا فقد انضمت إلى حمد بن منصور لتكون أول من يتم تدريبهما على الأعمال المكتبية ، ثم انضم إلينا بعد مدة علي فخرو لأنه كان خريج مدرسة ابتدائية في البحرين – غير الدكتور علي فخرو الصديق والمفكر والوزير البحريني المعروف .- وهناك صورة نشرتها لي الشركة في بعض مطبوعاتها آنذاك وأنا أطبع على الآلة الكاتبة .

دخان في ذلك الوقت كانت متألفة وحية بمن فيها من شباب قطر والجنسيات الأخرى . هذا بالرغم من انتقال الإدارة العليا للشركة إلى أم سعيد بعد أن تمت عمليات التطوير والحفر واستقر إنتاج النفط . مسعيد فيها ميناء التصدير وخزانات النفط ومعمل التكرير وقريبة من الدوحة ولذلك تم اختيارها مقرا لإدارة الشركة قبل أن تنتقل إدارة شركة نفط قطر للدوحة ويبنى بيت الشركة في حي الرميله بقرب قصر الحاكم وقلعة الشرطة وسكن كبار موظفي الحكومة من الانجليز ومقر المقيم البريطاني في الدوحة.

وكانت إدارة الشركة في دخان تتكون من ممثل الشركة ، أعلى مسؤوليها في دخان الذي لا أذكر اسمه ، ومسئول عن العلاقات العامة وشئون الموظفين اسمه السيد بوكت يعاونه عدد من العرب والقطريين منهم السيد نايف وهو على ما أظن من سوريا ومحمد سلمان المناعي من القطريين وعدد من الكتبة الهنود . هذا بالإضافة للموظفين الفنيين والإداريين البريطانيين الآخرين القائمين على كافة الإدارات. وكان منصور بن خليل الهاجري ممن اعتمدت عليهم الشركة كدليل وهو رجل اجتماعي فاضل وبصير يعرف الأماكن بالرغم من فقدانه النظر. وأيضا كان هناك عبدالله بن محمد العطية مسئول عن علاقات الشركة مع القطريين ، وحسن بن علي الثاني أمير زكريت وكان ابنه عبد الرحمن يحضر معنا الدروس في المدرسة . وجدير بالذكر إن حسن بن علي قتلته رصاصة انطلقت بالخطأ أثناء زيارة الملك سعود لقطر في عام ١٩٥٥ .

وجدير بالذكر كذلك إن قرية زكريت التي يتولى أمارتها حسن بن علي كانت ميناء دخان الذي تم من خلاله نقل كافة احتياجات الشركة من ميناء سترة في البحرين في فترة التنقيب والحفر وحتى اكتمال منشآت ميناء أمسيعيد عام ١٩٤٩ وتعبيد طريق بري بين دخان وأم سعيد. وأذكر أنني قد صاحبت والدي وشعيل ومحمد بن مهنا النعيمي عام ١٩٤٨ في رحلة سفينة صغيرة تنقل الماء من ينابيع في البحر جنوب غربي حالة بوماهر في البحرين ، إلى زكريت . وكان هناك أسطول من السفن الصغيرة ينقل الماء من البحرين إلى ميناء زكريت لتلبية احتياجات الشركة من مياه الشرب في دخان قبل أن يستخرج الماء العذب من منطقة الجميلية شرق شمال دخان. والطريقة التي يتم بها مليء خزانات السفن بماء الشرب هي نزول البحارة بقرب فاضية إلى مصدر تدفق الماء العذب في البحر وعند تأكدهم من النبع وعذوبة الماء يفتحون فم القربة حتى ملئها ومن ثم تفرغ في خزان السفينة .

وقد كان هناك مطار صغير في دخان تصل إليه الطائرات من مطار المحرق في البحرين وكنا نذهب إلى مطار دخان لنستقبل القادمين من كبار موظفي الشركة وضيوفها ، وكانوا يوزعون علينا ما تبقى من وجبات فاضت عن حاجة الركاب وكنا فرحين بها.

ومن المستشارين الذين يجتمعون بإدارة الشركة وكبار الإداريين فيها ، أذكر إبراهيم العريض الذي أصبح في عام ١٩٧٢ أول رئيس للمجلس التأسيسي الذي وضع دستور البحرين لعام ١٩٧٣ . و يبدو إن الشركة تستشير في علاقاتها بالحكومة والمجتمع فهو مثقف وشاعر وكاتب ومترجم درس في الهند وأتقن الانجليزية إلى جانب إتقانه العربية ورأيه راجح وموضوعي تستفيد منه الشركة في علاقاتها المحلية والإقليمية . فشرية نفط قطر منبثقة من شركة نفط العراق وشقيقة لشركة نفط أبو ظبي ، والقيادات الإدارية فيها من البريطانيين ينتقلون من شركة إلى أخرى ، الأمر الذي يتطلب معرفة بالتقافة والعادات العربية.

وفي إحدى زيارته التي تحتفي قيادات الشركة بها في العادة ، أذكر أن السيد نايف مسئول العلاقات العامة قد اعطانا شريطا سجلت عليه مداخلات مطولة من قبله ومن قبل إبراهيم العريض حول مكة المكرمة. وكان الشريط ممتع يعبر عن الجو الثقافي الذي يسود بين كبار الموظفين عندما يزور العريض دخان.

ويبدو ان الشركة في تلك الفترة حرصت على تعريف كبار الموظفين فيها بأحوال المجتمع القطري كجزء من اهتمامها بالعلاقات العامة بعد سلسلة من الاضرابات قام بها العمال القطريون في أواخر الأربعينات ومطلع خمسينات

القرن العشرين ، إضافة إلى المد القومي الذي بدأت بوادره في مصر وبلاد الشام. ومن هذا الاهتمام تنظيم رحلات دورية لقرى قطر للتعرف على المجتمع القطري وتسجيل أوضاعه من خلال الصور التي تؤخذ بكثافة خلال تلك الرحلات. وقد كنت أشارك وكذلك حمد بن منصور في هذه الرحلات بحكم أن مدير مدرستنا والمعلمين العرب فيها هم القائمون عليها. فذهبت معهم إلى الجميل والخوير في شمال قطر والخور ودعوناهم لزيارة الغارية والغشامية . وكذلك قمنا بزيارة مواقع ورياض في أنحاء قطر جنوب شرق دخان . وكان يشارك في هذه الرحلات السيد بوكت والسيد نائف المسؤولون عن علاقات وشئون الموظفين والعلاقات العامة في دخان إضافة إلى منصور بن خليل دليل الشركة في بعض الأحيان.

وفي تقديري أن مدير المدرسة جورج مجيكي كان المنظم لهذه الرحلات وهذا ليس غريباً فهو مهتماً بعادات العرب ودراستها وقد عين مسئولاً عن العلاقات العامة لوضع سنوات في شركة نفط العراق ، قبل أن يعود إلى قطر من العراق ويصبح مدير العلاقات الحكومية وشئون الموظفين في شركة نفط قطر في بيت الشركة بالرميلة.

و تشاء الصدفة أن أعين في عام ١٩٧٦ نائباً لرئيس مجلس إدارة الهيئة القطرية العامة للبترول التي تولت إدارة عمليات شركة نفط قطر في دخان وأم سعيد إضافة إلى عمليات شركة شل قطر في الحقول البحرية ، وكان اهتمامي منصباً على شئون الموظفين وتطوير كوادر قطرية وإعادة تنظيم جهاز الشركتين ليصبح جهازاً واحد يعبر عن الهيئة الجديدة واحتياجاتها لبناء قاعدة بشرية وتقنية. وهذا جعلني على اتصال مستمر ومباشر مع مدير مدرستي في دخان قبل عقدين من الزمن . فكان جورج مجيكي المعرفة القديمة ، قد أصبح زميلاً وصديقاً ساعدنا في تطوير القطريين ليكونوا مدراء للإدارات الرئيسية بما فيها إدارة العلاقات وشئون الموظفين التي يرأسها هو ، يقول تفوق الطالب على مدير مدرسته فأصبح الطالب رئيساً لمديره ، وكان يقول ذلك بود ويعبر عنه بمساعدتنا عندما أصبح مديراً لشركة الإدارة التي تقدم الخدمات للهيئة بالنسبة لعمليات شركة نفط قطر. وقد استمرت صداقته معي ومع الزميل فاروق نعمة الذي تولى إدارة العلاقات وشئون الموظفين في الهيئة بعد جورج مجيكي وبجهوده أصبح الكثير من مدراء إدارات العمليات البرية بل منصب مديرها التنفيذي في أيدي كوادر قطرية تم تطويرها مهنيًا وقيادياً.

ومن الذكريات زيارة الشيخ علي حاكم قطر إلى دخان التي استقبل فيها الحاكم ومرافقيه بحفاوة من إدارة الشركة والقطريين العاملين في دخان. وأذكر أنني قد تذوقت الكيك الانجليزي بالزبيب لأول مرة أثناء تلك الزيارة التي سمحت لنا الاقتراب من حي الانجليز والوصول لناديتهم ومطعمهم خلف الاسوار .

كما اذكر زيارة مدير معارف قطر عبد البديع صقر لإدارة الشركة في دخان وزيارتنا في المدرسة عام ١٩٥٥ . كان يرافق مدير المعارف مدير مكتبه المعين حديثاً وهو محمود سرحان الذي قيل لنا انه قادم من القدس بعد ان تخرج من الجامعة . واذكر أنه كان شاباً في العشرينات أعطى انطباعاً بأهمية التخرج من الجامعة. كما أعادت الزيارة والزائرين وما سمعناه من حديثهم ، سؤال التعليم في قطر وما إذا كان اختيار ترك المدرسة للعمل في الشركة صائباً .

ذكريات دخان كثيرة وممتعة عند سردها ، وأجملها ذكريات نادي العمال في دخان فقد كان مدرسة تكمل الناقص في مدرستنا الصباحية . في النادي التقيت بما يمكنني أن أسميهم المتتورين وقرأت الجرائد العربية وبعض من الكتب المتاحة واشتركت في فريق كرة القدم وتعرفت على عدد من العاملين غير القطريين منهم يوسف الصومالي وهو قادم من عدن ولديه اطلاع على العمل النقابي والوطني ضد الانجليز في عدن والجنوب، يقرأ الصحف وينصحن بقراتها. والتقيت أحمد عثمان وأخوه محمد وهم حسب تقديري من أهل الجنوب العربي وقد حصلوا على قسط من التعليم . وكذلك التقيت بشباب قطر من الدوحة ومن خارجها وهم بحكم ترددهم على النادي من المتطلعين للمعرفة والمحبين للقراءة . فتوسعت علاقاتي ونمت اهتماماتي وتنوعت ، ولم يعد أهل الغارية هم المحيط الذي أتحرك فيه فقط . فدخان هي المكان الذي برز فيه مفهوم الشعب القطري كما سبقت الإشارة. تجمع فيه شباب قطر من الدوحة وقرى الشمال وكافة أنحاء قطر فتعارفوا وتعاونوا بما يحقق مصالحهم ويرفع الظلم عنهم.

ومن النشاطات التي شدتني هي التمثيلية التي ألفها وأخرجها أحمد عثمان وقام بدور عصام فيها أخوه محمد عثمان . وقد صاحبت هذه التمثيلية في بروفاتها وربما أكون قد أبدت رأي استمع إليه . وموضوع التمثيلية يدور حول رغبة شاب ترك المدرسة وهجر التعليم وتبع هواه. اسم هذا الشاب عصام الذي لم يجد ضغط أخيه الأكبر عليه لمواصلة التعليم والابتعاد عن شركاء السوء نفعاً. وقد توسعت التمثيلية في حوارها لتوضيح هذه المسألة وخلفت رأي عام ضد رغبة عصام ترك المدرسة ، فالتعليم أولى باهتمام الشباب والتعليم سبيل المجد . وعندما عرضت المسرحية على العمال نالت إعجابهم وتكرر عرضها أكثر من مرة. ومنذ ذلك اليوم لم يعد أحد في دخان يسمى محمد عثمان بإسمه وإنما ألصق به الجميع ولسنوات طويلة اسم عصام ، لإجافته الدور وإبهار المشاهدين بتمثيله وصدقته في أداء الدور بالرغم من استهجان الحاضرين لتصرفه وإصراره على ترك المدرسة ورفقة السوء.

وكان فريق كرة القدم في النادي من النشاطات المحبوبة وقد شاركت في الفريق وكان من بين أعضاء الفريق ابن خالي أحمد بن راشد الذي كان قد فاز بالمركز الأول في سباق الجري الذي نظمته الشركة قبل عامين لموظفيها في دخان. وكان هناك نشاط الرحلات التي ينظمها النادي في موسم الشتاء والربيع للرياض القريبة من دخان وسهراتنا الليلية عند النار والأحاديث الممتعة. وأذكر من بين المشاركين في الرحلات يوسف جابر ومحمد الحمودي ، ادريس سلمان وسلمان المنصور، وفي ختم هذا القسم وضعت بعض صور تلك الرحلات.

وقد كانت أيضا مكتبة النادي المتواضعة وخاصة الصحف العربية مثل المصور وآخر ساعة والأحد من المصادر التي فتحت أعيننا على المد القومي الذي بدأ في تلك الفترة في مصر وبلاد الشام. ومن تأثري بقراءة المجلات العربية في تلك الفترة أذكر أنني كتبت رسالة لمجلة تصدر عن إذاعة البحرين سألت فيها عن إمكانية تكوين الدول العربية دولة الولايات العربية المتحدة على نمط الولايات المتحدة وقد نشرتها المجلة .

ولعل هذا الوعي الجديد بما يجري حولنا هو الذي جعلني وزميلي في المدرسة حمد بن منصور نذهب إلى الدوحة لمقابلة محمد بن عبد الله العطية وكان من كبار الضباط ، ناشدين نصيحتنا لكيفية الالتحاق بالخدمة العسكرية . وقد استقبلنا أبو عبد الله في بيته في شارع الريان بصدر رحب و تعشنا عنده وعدنا إلى دخان بعد أن وعدنا النظر في الأمر . ويبدو أنه لم ينظر ولم نتابع نحن الأمر بعد ذلك.

أثناء عملي في دخان من يوليو ١٩٥٤ إلى ديسمبر ١٩٥٥ وزعت إجازاتي بين الغارية والدوحة وفي البداية كانت متجهة أكثر للغارية في انتظار استقرار والدي الذي لم يشاركني في تفاصيل خطته الجديدة للزواج والاستقرار في الدوحة . يبدو أن والدي كان يحتاج لعدة شهور حتى يرتب وضعه الجديد وقد وجدت في ذلك فرصة أن أقضي إجازاتي الشهرية بين الغارية والجذيع بعد أن تزوجت شقيقتي الغالية فاطمة بنت ربيعه ، من سلطان بن ناصر بن طوار وانتقلت معه لقرية الجذيع الداخلية والتي تقع في طريق العائدين لدخان في نهاية عطلتهم الشهرية التي تبدأ من ظهر الخميس إلى يوم السبت. وفي الجذيع تعرفت على آل عيسى الكبار وأبنهم القريب من سني عيسى بن ربيعه .

في الغارية أسكن عند خالتي حصة بنت يوسف حيث تقيم شقيقاتي لولوه ونيليا وشقيقي يوسف عندها منذ وفاة والدتي. وكانت بيوت خوالي بيتا لي أسعد بينهم وأجد نفسي في الغارية. وقد شكل العاملون في دخان من أهل الغارية فريقا للعبة الكره وكانت جديدة على من لم يغادر الغارية ولكن يبدو أن أهل الغارية تقبلوها وسمحوا لأبنائهم مشاركة أهل دخان لعب الكرة والتسلي بها . وفي بداية ١٩٥٥ بدأنا التفكير في فتح نادي الغارية . وتم اختيار مجلس والدي المهجور في جنوب الغارية لترميمه واتخاذ ناد للغارية وقد كان ذلك واستمر لفترة مقرا يجتمع فيه فريق كرة القدم ويتسلى شباب الغارية مع القادمين من دخان في ذلك الملتقى الاجتماعي الذي لا يختلف عن سائر المجالس في الغارية . ولعل فريق كرة القدم والنادي بعض من تأثير نمط الحياة في دخان على الحياة في الغارية ، كما كان الحال في بقية قرى قطر وأحيائها كافة.

وفي هذه الفترة زارنا في الغارية مدير مدرسة دخان وفريقه الذي سبقت الإشارة إليه فاستضفناهم في مجلس خالي محمد بن يوسف وقمنا بالواجب بتعاون العاملين في دخان بتلك الاستضافة وتحمل تكاليفها. كما أذكر زيارة عيسى بن غانم مع والده لدخان قادمين من البحرين وتأثير تلك الزيارة علي . فعيسى كان قد أنهى الابتدائية أو يكاد وكان مظهره وملبسه أنيق وثقافته متقدمة نسبيا على من أعرفهم في دخان ، مما لفت نظري إلى ضرورة الاعتناء بالملبس والمظهر والاهتمام بالقراءة والإطلاع.

وفي هذه الفترة أيضا كان بيني وبين محمد بن يوسف الكواري الذي يعمل في شركة بابكو بالبحرين مراسلات ، ومنها رسالة زفت إلي ولادة أختي مريم بنت ربيعه بالسلامة في البحرين وإنجابها راشد. وقد اعتادت مريم على الذهاب على ظهر سفينة زوجها سعيد بن جمعه من الغارية إلى البحرين للولادة ، حيث أنجبت ابنة أسمتها موزة على اسم والدتي وقد اختارها الله بعد الولادة ثم أنجبت ابنة ثانية أسمتها موزه أيضا (أم حمد) قبل أن تنجب راشد. وقد استمرت صداقتي مع محمد بن يوسف بعد أن عاد والده الرجل الفاضل الحكيم الكريم يوسف بن محمد إلى قطر ، فبالرغم من كبر سنه ومقامه كان يعتبرني صديقا إلى جانب صداقتي لابنه الوحيد محمد.

أما والدي فقد بدأ بعد أن غادرت للعمل في دخان ، السعي أولا للحصول على منزل في الدوحة وقد حصل على منزل من المنازل التي وزعتها الحكومة في الرفاع ، للسكن فيها مؤقتا لحين بناء منزل خاص . وكان جارنا المقابل هو غانم بن محمد بوثامر يليه حمد بن يوسف النصف وعامر الحميدي. وجارنا من الشرق سلطان بن عبداللطيف الكواري ومن الشمال حسن بن محمد السليطي وعبد العزيز بن نصر النصر ، وكانت نعم الجيرة والجيران .

وفي هذه الفترة أواخر ١٩٥٤ تزوج والدي من هيفاء العسيري أم علي الذي كان وما زال لنا بمثابة الأخ الكريم . وقد ارتبط أبي في بداية سكنه في الدوحة ، بصداقة مع سلطان بن صباح العسيري ومع أحمد بن خميس السليطي وإخوانه . وقد أصبح والدي وأحمد بن خميس لا يفترقان يحسبهما الناس أخوان يذهبون للسوق سويا وصلاتهم الاجتماعية بالآخرين واحدة ، حتى أنهم في يوم من الأيام قررا أن يرتديا العقال الأبيض بدل العقال الأسود الذي كان يلبسانه وذلك بعد أن تعين كل منهما إمام مسجد . وقد عرفا منذ ذلك الوقت بالعقال الأبيض يميزهما عن الأغلبية العظمى من أهل قطر الذين لا يلبس العقال الأبيض إلا قلة نادرة من كبار السن .

تعين والدي إماما ومؤننا لمسجد الرفاع المحاذي لمنزلنا ، وكذلك عين قائما على بركة الماء وتوريد دخل البركة من بيع الماء للجهة الحكومية المختصة . وقد كانت برك ماء الشرب منتشرة في الأحياء ، يقوم الكندرية بتوصيل الماء على ظهورهم لمن يطلبه مقابل ثمن الماء إضافة إلى أجرة نقله .

و بذلك أصبح لوالدي أكثر من راتب بعد أن عاش سنوات على مدخراته التي سبق ذكرها . وقد مكنته ذلك من شراء أرض وبناء بيت صغير للإيجار ودكان عليها مجاوران للبيت الذي نسكنه . وبعد أن استقر والدي وتزوج ، أعاد لم شمل العائلة عندما انضمت شقيقتي نجلاء وأخي يوسف له في الدوحة ربما منتصف عام ١٩٥٥ وبدأت زيارتي للدوحة تزيد على زيارتي للغارية .

في هذه الفترة تزوجت شقيقتي لولوه في الغارية ابن خالتي علي بن راشد الذي يعتبره والدي بمثابة الابن يصاحبه في رحلات الغوص خاصة . وعاشت لولوه في البيت الذي تربت فيه وأنجبت إحدى عشر طفلا خمس بنات وستة أبناء .

كما التحق أخي يوسف بروضة الخليج الشرق في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ عند افتتاحها في فريج اسلطة ثم تحولت إلى مدرسة الخليج الابتدائية عندما تم تجهيز بناء لها . وفي عام ١٩٥٧ تزوجت شقيقتي نجلاء ناصر بن عبدالله العطية .

والفاجعة التي تعرضت لها في تلك الفترة ، هي وفاة شقيقتي الغالية فاطمة بنت ربيعه أثناء ولادتها في مستشفى الشرق في الدوحة و كانت معها خالتي حصة أمنا جميعا وراعتنا منذ الصغر ، في المستشفى حيث أخذت أبنيتها التي سميت فاطمة عندها تربيتها في الغارية ، ولكن القدر اختار فاطمة الصغيرة ابنة الغالية بعد ثلاثة شهور من وفاة والدتها ، وطويت صفحة أختي فاطمة التي أثرت على حياتي أبلغ تأثير كما ورد في "إنطباعات الذاكرة (١) التي كتبتها منذ سنوات قبل كتابة هذه المذكرات . ولمعرفة جميع الأهل بمكانة فاطمة عندي طلبوا من ابن خالي جاسم بن محمد وزوج شقيقتي مريم ، سعيد بن جمعة أن يبلغني الخبر الحزين الذي جعلني أقضي أياما في المنزل حزين في وقت لا ينفع فيه الحزن .

وإذا عدت للحديث عن دخان في عام ١٩٥٥ فأنني أذكر العديد من الشباب القطري الذين أتوا للعمل في دخان وأذكر منهم إضافة لمن ذكرتهم سابقا ، محمد بن بخيت ومبارك بن خميس وعبداللطيف بن محمد وعيسى بن ناصر وعلي ابن سلطان وجاسم بن عجلان من البوكوارة . وعلي المولوي وسلطان بن حسن الخلفي ومحمد بن فرج المناعي وراشد ابن عبدالوهاب المهندي وادريس السليطي وراشد عبدالله النعيمي الذي أصبح وزير خارجية الإمارات لاحقا ، و محمد أسد ومحمد غلوم بوالفين وعشرات غيرهم لا أتذكرهم الآن بعد حوالي ستين عام .

كانت الحياة في دخان عام ١٩٥٥ ممتعة والعلاقات صادقة حميمة والتعاون سيد الموقف وكانت سينما الشركة ملتقى الشباب القطريين مرتين في الإسيوع ، حيث تخصص السينما يومين في الإسيوع لكل من الانجليز وعائلاتهم ، والهنود وبقية الموظفين المتوسطين ، والقطريين بشكل عام . وكان هناك ساحل دخان البحري للنزهة وصيد السمك . هذا بالإضافة للنادي واللقاءات الخاصة في المساكن . هذا النمط من التفاعل هو الذين صهر سائر القبائل والمناطق والعائلات في قطر التي كانت تعيش في حالة منفصلة عن بعضها ، وانبتق من ضمن معطياته مفهوم الشعب القطري كما سبقت الإشارة .

خلال الفترة التي قضيتها في دخان لم يحدث إضراب وكانت طلبات العمال يستجاب لها ضمن علاقات كانت قد أرست في السنوات السابقة ونتج عنها اعتراف الشركة والحكومة بلجنة العمال التي أصبحت على اتصال مباشر بمسؤولي العلاقات العامة وشؤون الموظفين في الشركة ، ومنهم من القطريين محمد بن سلمان المناعي كما سبقت الإشارة . وفي مرحلة تالية فرغت الشركة أعضاء لجنة العمال من أعمالهم وأصبح دوامهم في إدارة شؤون الموظفين . وهذا ربما جعلهم يبتعدون عن تطلعات العمال وتمثيل مصالحهم ويصبحون أقرب لرأي إدارة الشركة التي احتوتهم بسياسة تربيهم من الإدارة وإعفائهم من مسؤوليات العمل .

يوجد في دخان مركز للشرطة ليس له احتكاك بالعاملين في دخان وإنما يقوم بحراسة منشآت النفط بالتعاون مع أمن الشركة. ولا أبلغ إذا قلت اننا لم نكن نحس بوجود رقابة أمنية ربما لأن العاملين في دخان مسالمين قانعين بما وصلوا إليه من مستوى معيشي مقارنة بحالتهم قبل تصدير النفط.

بالنسبة لي مع نهاية ١٩٥٥ بدأ وعيي يتجاوز دخان وأصبحت مواظبا على قراءة الصحف العربية وبعض الكتب التي اشتريها من مكتبة التلميذ في الدوحة. وقد كانت مكتبة التلميذ في سوق واقف التي أنشئها عبدالله حسين نعمه ملتقى محبي القراءة من طلاب مدارس الدوحة وبقية سكان الدوحة ومن العاملين في أم سعيد ودخان ، عندما يأتون إلى الدوحة في نهاية الأسبوع.

ويذكر الفنان جاسم محمد زيني أنه وبقية الاطفال والشباب في الدوحة يكونون في العادة في انتظار سيارات الشركة القادمة من دخان حاملة العاملين هناك في إجازتهم الشهرية. ويقول أن فرحته كانت كبيرة عندما يشم رائحة عجلات سيارات الشركة القادمة من مسافة بعيدة ، حاملة الرجال والشباب من دخان الذين ينتظرهم أهل الدوحة بشوق.

في أواخر عام ١٩٥٥ وبحكم تزايد ارتباطي بالدوحة فكرت في الانتقال إلى أم سعيد فعرضت الأمر على مدير المدرسة الذي وافق أن أنتقل إلى أم سعيد للعمل في سينما الشركة هناك . وقد تم ذلك في مطلع عام ١٩٥٦.

ملاحظات

١- إنطباعات الذاكرة : أنظر الرابط

http://www.dr-alkuwari.net/sites/akak/files/biography_part_1.pdf



(1-3-1) صورة جورج ماجيكي مدير مدرسة دخان عند زيارته للغارية
١٩٥٥ مع علي خليفة الكواري .



(1-3-2) فريق رحلات مدرسة دخان عند زيارته للغارية ١٩٥٥ : من اليمين السيد نايف ، جورج ماجيكي ، حمد منصور الهاجري ، حموده ، علي خليفة الكواري ، مدرس ، ابو سامي ، السيد بوكت ، صبحي خضر زايد .



(1-3-3) رحلة نادي دخان الى البر : يظهر في منتصف الصورة سلطان حسن الخليفي ، علي خليفة الكواري ، محمد الحمودي ، احمد عثمان و في اقصى اليسار يوسف جابر و اخرين لم اتعرف عليهم من الصورة ١٩٥٥ .



(1-3-4) الزملاء في نادي دخان يرزفون العرضة في رحلتهم البرية ١٩٥٥ .

من دخان إلى مسعيد

في مطلع عام ١٩٥٦ انتقلت من دخان للعمل في مسعيد مساعدا لمشرف سينما الشركة وهو لبناني يسمى على ما أذكر سيمون . وسينما أم سعيد مثل سينما دخان تعرض نفس الأفلام الأجنبية وفقا لجدول يخصص بموجبه ليالٍ للانجليز وعائلاتهم وأخرى للموظفين المتوسطين وعائلاتهم وليالي للموظفين القطريين . وفي الأيام الخاصة بالقطريين يسمح للقدامين من الدوحة حضور العرض حيث تنقلهم سيارات التاكسي من الدوحة التي لا توجد بها دار سينما في ذلك الوقت ولم توجد حتى تأسست شركة قطر للسينما في سبعينيات القرن العشرين.

عملي في السينما كان فني وإداري أساعد أثناء النهار في تحضير الأفلام للعرض وتصليح أي عطب فيها ، وأقوم بتشغيلها ليلا كما أساعد في الإشراف على شئون صالة السينما ، وهي صالة مفتوحة متوسطة الحجم تكفي في الأيام العادية وتكتظ في الليالي المخصصة للقطريين بسبب قدوم أهل الدوحة. وقد كان تعرفي على بعض طلاب المدارس المترادين للسينما مشجعا لي للذهاب للدوحة والاقتراب من حياتهم الدراسية التي ربما كانت عاملا في عودتي للمدرسة في نهاية ١٩٥٦ . و أذكر من هؤلاء الطلاب الصديق عبد اللطيف الجابر الذي نصحني بالعودة للمدرسة أثناء مباراة لكرة القدم كنت أحضرها معه في ملعب مدرسة الدوحة الابتدائية.

أول شيء حرص عليه أقرائي في دخان من أجل الاطمئنان على إقامتي في أمسيعد كان اختيار السكن . وبعد استشارة محمد فرج المناعي قرروا أن أسكن مع رجل فاضل اسمه عبدالله بن عيسى السويديان من أهل مريخ من ضواحي الدوحة وكان نعم الأب والناصح والحكيم الذي تعلمت منه الكثير واستمررت أشاركه السكن حتى استقلت من الشركة في أواخر ١٩٥٦ . كان سكننا في حي المهنيين القطريين بقرب نادي العمال. وكان يسكن في نفس الحي عدد من الشباب أذكر منهم خليفه بن جبر بن دلهم وصالح بن محمد السليطي وعبدالله بن عيسى الهتمي. شاركت معهم في نشاط النادي وبعد فترة انتخبت نائبا لرئيس النادي ناشطا في الجانب الثقافي من تزويد المكتبة بالصحف والكتب وترتيب الرحلات البحرية . وقد كانت الرحلات البحرية من أمسيعد لمختلف الجزر القريبة مثل الإسحاط واشراعه وغيرها ، متمعة خاصة في الأمسيات عندما تتجمع تحت ضوء القمر نستمتع للراوي القطري القدير ثامر بن مفتاح يقص علينا أحداث قطر ومعارك أهل قطر مع جيرانهم من الجنوب خاصة ، إضافة إلى وقائع الوكرة وغيرها مع حكام البحرين . لقد كان الرجل موسوعيا في معرفته للتاريخ المحلي غير المدون ، متمكنا وقديرا على سرد الأحداث بجاذبية منقطعة النظير بالنسبة لي في ذلك الوقت . ولعل نادي أمسيعد والعلاقات مع أهل مسعيد هي التي أبعدتني عن جو دخان الذي كانت الغارية وأهلها محورا رئيسيا من محاوره ، وأدخلتني إلى عالم قطر الأوسع من تعرف على أصدقاء جدد واهتمام بتاريخ وسط قطر وجنوبها إضافة إلى تواصلتي مع الدوحة وأهلها وابتعادي تدريجيا عن الغارية بعد أن انتقل اشقائي للدوحة واستقر الوالد فيها .

مسيعد في تلك الفترة أصبحت مركز شركة نفط قطر ومقر إدارتها فهي مصب تصدير الزيت وبها ميناء التصدير الذي يقع في جنوبها في خليج محمي من الرياح تطوقه الكتيبان الرملية من الشمال والغرب مياه عميقة يسمح بوصول ناقلات النفط الكبيرة لمسافة ٥٠٠ متر من الساحل حيث يتم وصل خزاناتها بأنابيب ضخ النفط في موقع نادرا ما تؤدي الرياح فيه لنشوء الامواج وتعطيل الشحن.

ومن أجل المقارنة فإن معدل تعطيل شحن ناقلات النفط في ام سعيد لا تتجاوز ١٢ يوم في السنة مقارنة بحوالي ٦٠ يوم بالنسبة لتقدير تعطل شحن ناقلات الغاز في ميناء رأس لفان . ولعل هذا الفرق في جدوى كل من الموقعين قد جعلني لا أصدق عندما قيل لي أن حكومة قطر قررت بناء ميناء لتصدير الغاز المسال في رأس لفان بدل ان تجد مكانا شبيها بمصب النفط في جنوب أمسيعد وفقا لما كانت تشير به دراسات الجدوى التي قمنا بها في المؤسسة العامة القطرية للبتترول ، والتي كانت تقدر تكاليف إنشاء ميناء لتصدير الغاز المسال في جنوب قطر بحوالي ٥٠ مليون دولار بينما كلفة ميناء رأس لفان ناهزت مليار دولار .

وبجانب خزانات التصدير ومصب الشحن في أم سيعد ، إنشاء معمل كطف المنتجات النفطية وشبكة توزيع المنتجات النفطية في قطر وهو الوحيد فيها . وإلى الشرق من ذلك الميناء الطبيعي المثالي لتصدير النفط ، تركزت حركة النقل البحري لقطر في أم سيعد ، حيث ترسو السفن التجارية وتنقل بضائعها بالسفن الصغيرة والمواكين إلى فرضة انشئت من أجل ذلك ثم تنقل بالشاحنات إلى الدوحة. وقد استمر الحال كذلك حتى تم افتتاح ميناء الدوحة في أوائل

سبعينيات القرن العشرين. وفي نفس الفترة أصبحت تلك المنطقة والميناء الطبيعي في مسعيد مقرا للصناعات النفطية الكبيرة لما تتطلبه من موانئ للاستيراد والتصدير ، ومنها مصنع الاسمدة الكيماوية (كافكو) ، ومصنع الحديد والصلب ، وشركة الصناعات البتر وكيماوية (كابكو) وما زالت تلك الصناعات مستقرة في مسعيد وقد توسعت . وكذلك حتى اليوم يوجد ميناء تصدير النفط الخام ومعمل فصل سوائل الغاز الطبيعي. كما أنشاء معمل تكرير النفط الجديد مكان معمل قطف المنتجات النفطية.

وجدير بالذكر أن هذا الخليج المحاط بالكثبان الرملية الذي يسمى منطقة سيلين (Sea Line) من الشواطئ البحرية الخلابة و الجذابة للسباحة البحرية خاصة للأجانب ، وكانت بعض العائلات القطرية وبعض الشباب يرتادون ذلك المكان أيام العطلات إذا كانوا بصحبة أحد كبار العاملين في مسعيد. وفي مرة كان الشاعر حسن نعمة أيام شبابه وصباهته مع مجموعة من الأصدقاء شاهدوا فتيات جميلات بملابس السباحة فطلبوا من حسن أن يقول بيتا من الشعر فارتجل قائلا:

لبست سوادا في المساء فخلتها حورية لبست سوادا محرم

وإذا عدت في الختام إلى ما أذكره عن أم سيعيد والعاملين بها في ذلك الوقت فإنني أذكر من الأشخاص إضافة لمن سبق ذكرهم شخص كريم اسمه مسلم المنصوري كما أذكر محمد الفندي وعبد الحمن عبد القادر وهما زميلان في النادي والرحلات البحرية ، وعلي الشاعر وهو في العلاقات العامة للشركة .

وقد شهدت اضرابا حدث في مسعيد ودخان أثناء الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وشاركت مع عدد من العاملين في مظاهرات حاشدة نظمت في الدوحة ، حيث جننا بسيارات الشركة دون إذن منها حاملين الأعلام وصور جمال عبد الناصر وشاركنا في المظاهرات وعدنا آخر النهار . وأذكر أنني قد رأيت خليفه بن عبد الله العطية في المظاهرات وقد ربط على جبهته ورأسه صورة لجمال عبد الناصر . وقد قيل وقتها أن هناك مصورا في قطر قد التقط صور المظاهرات وقيل إن الحكومة قد أطلعت على تلك الصور، مستدلين بتحسّن وضع المصور وصعود تجارته وتنوعها منذ ذلك الوقت والعلم عند الله. وجدير بالذكر إن المظاهرات التي تجمعت أمام الديوان الأميري ومقر المستشار الانجليزي عند برج الساعة لم يتعرض لها الأمن ولم يحدث منها أو بسببها عنف أو تخريب ، بل كانت سلمية حضارية عبر فيها أهل قطر عن رفضهم وشجبهم للعدوان الثلاثي على مصر وتضامنهم مع شعبها ، كما تبين الصور أدناه . وكذلك كان الحال مع العاملين في شركة النفط في مسعيد ودخان فقد قضت الشركة النظر عن شكل تعبيرهم عن رأيهم وتضامنهم مع مصر ، دون تعرض لهم أو معاقبتهم على استخدام سيارات الشركة .

ومما سمعته و راج الحديث داخليا ، أنه كانت هناك تفجيرات لأنبوب نقل النفط بين دخان وأمسييد . كما اطلعت على كتيب عن عبد الناصر صادر عن مجموعة تسمى نفسها أحرار قطر ربما يكون من بين أشخاصها خالد بن ناصر السويدي وقد يكون الشيخ خليفه بن حمد وبعض إخوانه وعدد من آل الأحمد على صلة بمظاهرات وأحداث ١٩٥٦ ، إضافة إلى أحمد بن ناصر العبيدان وأصدقائه والقريبين منه فضلا عن خليفه وحمد العطية ومن هو على صلة بهم .

وفي أواخر هذه الفترة كنا نسمع عن مناشير تندد بالوجود الانجليزي وقد اشتبهت الحكومة في أحمد بن ناصر عبيدان وعبدالله خليفه المطاوعه وعبدالله حسين نعمة فاستدعتهم ونهرتهم وحذرتهم بعد أن احتجزتهم لفترة قصيرة . وقد احتج على ذلك الكثيرون وكان أعلاهم صوتا محمد الخال عم الصديق أحمد الخال مما جعل الحكومة توقعه لبعض الوقت بالرغم من كبر سنه.

وخلال العام الذي قضيته في أمسييد تزايد ترددي على الدوحة وكنت أزور مقر المجلس البلدي الذي كانت حكومة قطر قد أعلنت عام ١٩٥٦ عن دستور له ، يتم بموجبه انتخاب نصف أعضاء المجلس ويعين الحاكم النصف الثاني . ولكن هذا الدستور لم يفعل ولم تتم انتخاباته ، وإنما أنشئت سكرتارية للمجلس البلدي فقط ، تعرفت على كل من علي السعد وعبدالله خليفه المطاوعه الذين كانا يعملان في سكرتارية المجلس البلدي في مقره الكائن جنوب قلعة الكوت غرب سوق واقف . وكان المبني يضم في الأصل محاكم قطر العدلية التي يقوم بمهمة القضاء فيها الشيخ أحمد بن علي والشيخ خليفة بن حمد والمستشار الانجليزي . وأذكر أنني قد شهدت حكما بالجلد على بعض الأشقياء المتهمين بمحاولة اغتصاب ، وكان ذلك حدثا غضب له الناس و أستنكروه.

في خضم هذه الأحداث التي تلاحقت على وعيي ، وجدت أن مستقبلي ليس في العمل في الشركة والزواج المبكر والاستقرار ، وإنما طموحي يقودني إلى تغيير ذلك المسار والعودة للمدرسة التي تركتها قبل عامين ونصف غير مختار وغير واع لتبعات ذلك الانتقال . وقد كان ذلك قراري في أواخر عام ١٩٥٦ ، بالرغم من أن راتبي في الشركة قد ارتفع وتضاعف وأصبح راتبا يسمح في ذلك الوقت بالزواج وفتح بيت . ولم أستشر أحدا في ذلك وإنما وضعت نفسي وأهلي

أمام الأمر الواقع فتركت الشركة غير نادم ، وعدت إلى المدرسة في حركة تعتبر عكس التيار في ذلك الزمن حيث كان الطلاب يتركون المدرسة للعمل في الشركة



(1-4-1) علي خليفة الكواري نائب رئيس مجلس ادارة نادي مسيعيد ١٩٥٦ .



(1-4-2) رحلات مسيعيد البحرية ١٩٥٦ ، في منتصف الصورة يظهر علي خليفة الكواري جالسا و في أقصى اليسار و يظهر عبدالرحمن عبد القادر واقفا و امامه محمد الفندي يدخن القدو و زملاء اخرين لم اتعرف عليهم .



(1-4-3) عمال شركة نفط قطر قادمين من مسعيد للمشاركة في مظاهرات ١٩٥٦ .



(1-4-4) المظاهرات الشعبية في الدوحة عند برج الساعة احتجاجا على العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .